رَفَّةُ شَبَحٍ في الظهيرةِ

شعر

مؤمن سمير

دراسة : د/ محمد عزت

تم نشر الكتاب في الهيئة المصرية العامة للكتاب 2013



" ليسَ النـهارُ

سوى إبطال

لنورِنا نحنُ ... "

ماريان ناكيتش

تم تدوين النصوصِ في ديسمبر ، الممتد من 1999 وحتى 2001 ...

I

يَحيكُ الظِلالَ وأرتديها

مونولوج

أعطني حفرةً

في قلبِكَ ....

....

لأطفو ..

ضرورةُ الرملِ

صيفٌ

قد لا ينحتُ الموسيقى ،

المُندَّاة من عندِ لُهاثي ..

لكنهُ لن يقتِنصَ

مُكْتَنِزَاً ،

يومئُ

في رعبِ الأسلافِ ......

بَسْمَةُ اللهِ

لم يَحُلْ

دون أن تصنع له فطيرةً من سخونـةِ دمائِـها

أو أن تُزَيِّنَـها بحلمتَيْها

أنـها بلا سقفٍ ولا طائرٍ ..

.... ولا أن تـهِبَ جسدها كلَ مطرٍ ،

.. لبسمةٍ عريضةٍ ..

.. لظِلٍّ

في حانـةٍ ...

....

الفرصة

لا أريدُ شيئاً كثيراً ..

لا عدةَ أشباحٍ

ألحق بهم بَلعتيْ النورِ

ولا أن يمنحني المُتَجَهِّمُ

مَرايَاهُ لنصفِ عمرٍ ..

، الغيمةَ التي تستخفُّ بالمراكبِ ..

، وخيالي الذي لن أشوفَهُ

يجوسُ سماءَ الجيرانِ

ونيرانِهم

....

ما أريدهُ شيءٌ أبسطَ من ذلكَ ..

ألا تزاحموني في الصورةِ ..

البليغةِ ،

كأنها قسوتُكِ ...

وهكذا . يَقتفونَ أثَرَنَا

بالرغمِ من أنني أُحِسُّهُ يبالغُ حقاً
قُدَّامَ حوائطِهِ والمدفأةِ
لم أحرمه متعتَهُ الصغيرةَ
: أن أحيكَ الظلالَ
كلما فات الخشبيونَ
وأن أَحوطَ جَناحَ
النافذةِ ،

للمثقوبينَ
بالمحبةِ ....

الأحمر

كانت في الشمس نقطةٌ سوداءُ
أتراهنُ مع الظِلِّ
على من يحرقها
بركلةٍ ،

أو بعمْرٍ ..

العظـيم

نشيرُ لَهُ

عَليْنَا

و ننامُ دونَ حقد ..

من أعلى

كانت رائعةً جداً وعاقلةً

عندما أخفت رسمَ السِكِّينِ تحتَ الوسادةِ .

لاحِظ

أنـها أعطت للمَلاكَاتِ فرصةَ التسلُّلِ

والفضولِ ..

للأسماكِ أن تبيتَ في صدرها ..

و للظلِّ ثقوباً ،

يطلُعُ منـها

الرقصُ ...

....

بقايا غِبْطَةٍ

تُحِسُّ بكلِ هذا الضوءِ

عندما تلمحُ الضحكةَ الخضراءَ

تحتَ سجادتِها ..

لكنَّ الطائرَ المتيبِّسَ

يشي الآن بالرعشةِ

و العيونُ غادرت نحو

جِلْدِكَ ،

على شَمَّاعةِ القنصِ ....

.. من كلِ عامٍ

اتركها تقتل ما تريد

لكن لا تبتئس بَرِيَّاتُكَ

أو يتناثرَ الشتاءُ

خارجَ ملابسكَ ..

ناور شَبَحكَ ،

.. من قلبِهِ

.. من صوفِ يقينِهِ ..

وامحني ،

قبلَ المرآةِ ...

الوصـيـةُ

تتمناهُ بشدة

ذاكَ المنقوشُ عليهِ

بعددِ سنينِ العمرِ .

وعندما صارت شبيهتَهُ

صاحَبت طراوةَ الكابوسِ

وصارت تحزنُ أقل ..

: العجوزُ التي كَفَّنوها بالبَرْدِ

وابتسَمت ،

لطائرٍ

ماكرٍ ....

حكمةُ البورتريه

... ثم لن يمضيَ سَيْلٌ سَمينٌ

إلا وقد لَبِسَ اللونُ خيمتَهُ ...،

وحَفَّ

ذاكرتَهُ ...،

كأنهُ

نفسُ

الظِلِّ ..

دَفعَةً واحدةً ... لا تدحرج العمرَ كثيراً

- هو قاتِلٌ ، لا جِدالَ في ذلكَ

لكنهُ سيندمُ ، كزورقِهِ وأوراقِهِ

لأنه لم يستمع إليَّ ،

و مَسَّدَها قربَ التشفي ..

وسابَ للجَدِّ ..،

دَوَّاماتَيْنِ ...

- أيها القرصانُ .. لا تصمت .. يا أبي

ولا تبني الغاباتِ

في خلفيةِ الذكرى ..

أنت الآن تَنْهَشُ القبعةَ ، بصَخَبٍ ..

القبعةُ التي من الوَخْزِ ،

والتي تسترني ..

- من أجلي

اليومَ فقط .

: رُدَّ عليَّ بَسْمَةِ الميتِ

قبل أن تفوتَ الريحُ ..

....

الذي هناكَ

الذي خلفَ الظِلِّ المنكسرِ

والذي جاهدتُ سنواتٍ

لأصافحَ عينيهِ ..

لم يكن في حاجةٍ ماسةٍ

إلى كلِ هذا الظلامِ ..،

لأشُمَّ

عبادتَهُ

لغيري ..

البعيدُ هنا

الأكاذيبُ الأصغر

والأسرارُ الأصغر

الذين نـهشونا مسافاتٍ وخَرائِطَ

في البحيرةِ ....

نرتعش من ملوحتِكم ..

....

نُطَيِّرُ عُشَّكم كلَ صحراءَ ..

....

نحبُّكم ..

لمعةُ شيخِ الجامعِ

الشيطانُ العظيمُ .....،

لماذا تقفُ بعيداً

ولا تجرِّبُ ارتعاشَ اليدينِ ..

الجميلَ

الجميلَ ؟

مِن الجنـةِ ، بإزاءِ الأرضِ

السماء خاليةٌ ،

كأنما الكبيرُ

سيهبطُ حالاً .

....

كلُ عشرِ خطواتٍ ،

نخطِفُ نظرةً .

....

في آخرِ الطريقِ

نسينا نظرةَ امتنانٍ ..

عَلَّ كلباً طيباً ،

يَتَعثَّرُ

فيـها ..

II

أَجُوسُ في صدقي المُؤَجَّلِ ،
بابتهاجٍ حَقيقيٍّ

يؤدونَ الخدمةَ العسكريةَ

تقابلهم في السياراتِ ، رؤوسهم محلوقةٌ ، والتراب يسقطُ من نظراتِهم .

دقائق وينامونَ على أكتافِ بعضهم

لكنَّ العيونَ تَظَلُّ مثلَ بندولِ الساعةِ .

يرتعدونَ من الشرطةِ العسكريةِ ، ويحكونَ

كيف أوقفَ الضابطُ المسافةَ

وقال " يبدو عليكم عدمَ الطيبةِ

يا ملاعينُ يا كَفَرَة "

ثم كَرِهَهُم في وجوهِهم .

مع أنهم ، والشهادة لله ، كانوا يلبسونَ " الباريه "

والخياطة من أثَرِ " تقييفِ " الملابسِ لا تُلَوِّحُ للمارةِ في الأعيادِ و " البيادةُ " مُلمَّعةٌ ، يبانُ فيها الطريق .

تكتشف وهم نازلون ،

أنَّ الأخضرَ الثرثار ، جعلهم أخوةً وأصحاب .

يصمتون فجأةً ، بعد مَصِّ السحاباتِ القانيةِ ، الصديقةِ ..

الأول يتذكر حبيبته .

هي ليست غريبة ، هي ابنة العَظْمِ واللحمِ .

سيأخذها العابرُ

وتعود تلبسُ كحلاً نَفَّاذاً ،

و كل هذا البريق ..

(الفقرُ صديقٌ ، يختارُ أحباءَهُ بدقةٍ ، لأنهُ طيِّبٌ)

الثاني ، يعترفُ لنفسهِ أنهُ لم يعد يثور ..

شتَمَهُ المُقَدِّم كثيراً ، لكنهُ سَبَّ " المؤهلاتِ " أيضاً ..

(هي حياةٌ أم أكثر)

إذا كان في جَيْبِ أحدهم نقوداً

يسرعُ ويضعها في عَيْنِ الظروفِ

وصَدرِها ..

لكنهم ..

لن يعطوا الشحاذينَ

المُلَوَّنينَ ،

ولو بعدَ حين ....

الحنينُ لا يقع من السقفِ

مجردُ تَسَمُّعي صوتَ الرعدِ ، وهو يحاصرُ الكابوسَ ..... قد يثيرُ بلداً من الريبةِ

إذا تمَّ استدعاءُ الذي انتحرَ ، لمجرد رغبةٍ مُلِحَّةٍ في شمِ ورودِ النورِ .

قريبي ساذجٌ بجد

ويليقُ على طيورهِ وأنـهارهِ ، وروحُهُ تشبهُ زحمَةَ قبرهِ كلَ مساءٍ ......

سَأضحكُ أيضاً على النافذةِ ،

خبَّأت تاريخها خلفَ الصدأِ و انتظرَت أن يَنبُتَ لظلِّها شجرة ....

في ليالٍ مثلَ هذهِ ، أنا أكشفُ الأمورَ ..

أرمي عليها من لُهاثي وعَظْمِي .. فيتقشَّرَ الزمنُ ،

و تعودُ مجلوةً ..

أنا العَرَّافُ الشريفُ ، لا أخفي شيئاً عن أحدٍ ،
لهذا أُسجِّلُ : أنَّ محاورةَ الرعدِ أحلى كثيراً
من تمشيط عَنَاءِ الساحراتِ والبومِ ..
وأن الصمتَ
ثرثارٌ كبيرٌ ..،

ولا
يُشْبِهُكِ .....

سَأُنيِمُ اليمامةَ في كُمِّي

بعد ليلةٍ أَيْرُوسِيَّةٍ ، أَلقيْتُ برأسي من نافذةِ الدورِ الأخيرِ .
المتواطئونَ في المرآةِ ، أشاروا عليَّ
وأبلغوا الجدرانَ
لتَكْبُر .
ثم أعادوني لبرودتي ، على وعدٍ بأن أتركهم
يرعونَ آخرينَ
يحتاجونهم أكثرَ مني ...

بعد سنةٍ ، أَلقَيْتُ بشهقتي في الحفرةِ
ثم بَكَيْتُ بحرقةٍ ، وقلت لستُ أنا
وإنما الأشباحُ الطيبونَ ، قرروا الأمرَ قديماً ...

النافذةُ أَصَمَّت قلبها
والريحُ فتحت كيسَها المختومَ
وصَادقَت حُلْمَيْنِ ،
خلفَ الجبلِ البعيدِ ..

.. لم أطلبَ شيئاً
سوى أن تصفقوا ،

ويختفي بريقكم
......

يومٌ مجيدٌ آخر

العَرَبَةُ الكبيرةُ ،
كلما تَمُرُّ ، نصطفي قربةً من الدماءِ و نقشِّرُ أجسادَنَا
برويَّةٍ ،
لتهدأ وتَبوحَ وقد تنسى .
ألعابُنَا الناريةُ هذا أَوانُها ، لتصحوَ من الفونغرافِ
و تملأَ سماءَنَا بالقماشِ الطَرِيِّ ، الملَّونِ بالريشِ القديمِ .
وهـو يتـأرجحُ مثـل نغمـةِ الآبـاءِ ، البيـتُ يبتسـمُ .. ذاكرتـهُ
المثقوبةُ ، لم تعد تنفلتُ ، بعدَ كلِ هذا الكَمِّ من المتلصصينَ
والمرتعبينَ ..

أصبحَ ناجحاً بحق ، في أن يأخُذَ
حَذَرهُ ،
فينا ....

هل تعلمونَ أن بيتَنَا هذا كانَ من كبارِ الأفنديَّةِ
لكنَّ عدم إتقانِهِ الآلاتِ الحديثةِ ، جعلَ جالبي الموت ، يرونَ
في ترفُّعِهِ ، مجردَ نَسيمٍ على وجهِ عابرين ... ؟

أربعون يوماً وهو على هذهِ الحالةِ ..
شاشةُ التليفزيون ، جَمَّدت نظراتنا عليها وانتظرت ..
" المَشَّايةُ " الأماميةُ
وضعت مادةً من الحنينِ
على خطواتِنا المرتابةِ .. " الكَنَبةُ " .. الغرفةُ الغامضةُ ،
بنتُ الأرواحِ اللاهيةِ .. مخابئُ الرطوبةِ ...
كلهن سرقن

رَفَّاتِنَا

المتواليةِ

ووهبنـها للفلكيينَ .

قال بيتُنَا

أنا العصاميُّ الحَقُّ

أرتدي حزني بِحَذَقٍ

لكنَّ الثورةَ ـ تعلمونَ ـ

لابدَّ منـها

كل صورةٍ ..

لذا أَتحصَّنُ

منذُ اليوم ...

اقتربوا منـي

يا أحبَّائـي .

بنظراتكم

اللامعةِ

عندما

تَهْوِي ....

خياناتٌ أخرى

مُعَلقٌ بحبلٍ يسقطُ من شجرة ، الهواءُ الخائنُ يلعبُ عَبْري
وأنا الثقيلُ الأصيل ...
المسرحُ من حولي ثلوجٌ .. وقمةُ جبلٍ وآثارُ الدببةِ
وأفكارُ كلابِ الصيدِ وخشبُ التدفئةِ الثرثار ...
البطلُ ، يُصَوِّبُ على الظِلِّ ويبتهل لقلبِكِ ..
يخيبُ لأن عمري نسيتُهُ في الجيْبِ الداخليِ ، الأبعدَ منكِ ..
تمنى أن يصبح طائراً ثلجياً ، ويَشُمَّ نعيمي
لكنَّ العُلْوِّيَ ، تطيشُ تساؤلاتُهُ
ومدَدُهُ تأخرَّ على السفينةِ ....

الباب مُوصَدٌ
والنافذةُ غريبةٌ من جهةِ القلبِ ...

عندما كنا نظنُ ،
كانت الأشباحُ
تخافُ ....

لكنها اليومَ

هنا ...

وهنا ..

وفي حريقِ

صورتِك ...

....

الراوي العليم

صدرُهَا مزيفٌ .. مليءٌ بالقطنِ والشاشِ والأحزانِ ..
وهو يقف على الكرسيِّ . المسافةُ بين النافذتينِ
ترسمُ للباعةِ الجائلينَ والترابِ ، أن يتعانقوا مع رغبةٍ تطلُعُ
رويداً رويداً ......
تتمنى ألا يكون موظفاً . حياةُ أبيها ليست مثيرةً بالمرة .
ضمَنَت طيورها أن يحبها وتحبُهُ ، ويقبلها خلسةً لحظةَ أن
يفوتَ النورُ كَسَهمٍ في الممرِّ .
يوم الأربعاء يأتي مع قلبِهِ ..
الخميس تتجمع أخواتها البنات بأولادهن لِيَقْتِنِصْنَّ الدعاءَ
ويتركن الشكاوى المريرةَ ، تسممُّ باقي الأيام .
إنه الآن يعريها .. يخمشُ بأظافرِهِ الذكرياتِ واللؤلؤة الرابضَةَ
في كيسِهَا ....
البنتُ قلبُهَا بليغٌ ..
والولدُ يَهِلُّ في عينيهِ ، طائرٌ مَسَائِيٌ ..
البنتُ تحبُّ البَحَّةَ في الأصواتِ ،
والولدُ عنده أجزاء " الصامتون في المعاركِ " .. كاملة .

كلُ هذا لا يمنعُ أنهما أغبياءَ كباراً . أعطوا أمانهم للهواءِ ..

أَمَا لاحظوا أنهُ يمرحُ دائماً بينَ البيوتِ والجداولِ ..

يَغِشَّ الروائحَ والأنفاسَ

ثم في البكور يزرعهم قربَ المدافنِ ؟!

ثم إن لي دوراً رئيسياً في تحريكِ الأحداثِ

بامتدادِ التاريخ ، يغفلونَهُ عامدينَ .

أنا الذي زَوَّجتُ كلَ رجال الحيِ ، وأنا الذي أعطيتهم سَمتَهُم

، وألبستهم ملابسَ لاتقتفي الخوفَ والانتقامَ ..

ثم أَمَتُّهُم في نهايةِ الشَوْطِ ... وارتعشتُ ..

فلأُنزل لهاثي

وأبتهلُ

لئلا يكونا مثلهم ..،

هذان اللذانِ يَلُوحَانِ ..،

في

الغيمةِ

الضاحكةِ ....

أعطيتُهُ وأعطانـي

بارعٌ حقاً .... وكان يُشَخِّصُ بكلِ أعصابِهِ ..
عيناهُ لا تَطْرُفَانِ ، ويداهُ لا تطيرانِ عندَ الصقرِ ..
يضئُ بينَ كلِ عبارةٍ وأخرى ، ويُهلِّلُ للأقزامِ السَحَرةِ
في حروبِ الشُّبَاكِ المجاورِ .
يقول إن بارعاً حقاً ، وكان يُشَخِّصُ بكلِ أعصابهِ ....

.. لفرط براءتها ، صَارَحَتْهُ بكل ما جرى في الأحلامِ الطويلةِ
وعلى الجدرانِ وفي الأدراجِ ..
إنه يشكُّ
بل يوقنُ
أنها ستُشْرِقُ بعيداً ..
وتَشْمَتُ فيه الأمهاتُ ، اللاتي كن يحذِّرنَ الأطيافَ ،
والأقدارُ والحُفَرُ ..

عندما أَكَدُّتُ لهُ

أنـها مغلوبةٌ من عندِ وَحشِ الجزيرةِ ..،

غافَلْتْنِي

وغَمَزْتُ ...

.. خاطَ أربعةَ بنطلوناتٍ .. للذي طَيَّرَ نَعْشَ الملكِ

ماتَ والدُ زوجةِ المنيرِ .
الجالسونَ في الهواءِ الضخمِ
تحدثوا كثيراً ، عن دفءِ عظامِهِ و أمطارهِ الكريمةِ
ثم أكملوا تحتَ ابتسامتهِ المعلقةِ في الرائحةِ .

مجردَ خَيَّاطٍ ضحكَ عليهِ نبضُ قلبهِ وهو نائمٌ .
اعتادَ أن يشتري كلَ سبعِ سنواتٍ أو ثمانٍ بذلةً جاهزةً غير مُفَصَّلَةٍ ويقارنُ في المساءِ وينتصرُ .. كما أنه مسرفٌ في الجواربِ ، لا يستغني عنهم خاصةً جنبَ ديسمبر ..
عندما فتحَ عليهِ الأشباحُ بعد أيامٍ غابَ فيها صوتُ ظِلُّهُ وهو يحجِلُ ليسنِدَ الأركانَ ...
وجدوهُ على سريرهِ الذي وقعَ بهِ معها

وأحبَّ نسيانَ إصلاحِهِ ...

كان متعفناً وقلبُهُ يحكي للمشيِّعينَ ويبتسم .

جاورتُهُ مرةً على المقهى ، بعد أن انفضَّ التَنفُّسُ . كان يريهم صوراً أغلبها كالح ، مع قبلاتِ زوجتِهِ ونشوتِها ، وغمزةِ تحيةِ كاريوكا .. في مظروفٍ أصفرَ مطوياً أربعاً .
عيونه ترمي طيوراً
رغم أن الجميعَ يُغمضونَ
بدونِ شهيةٍ .
صورةٌ مُوقَّعٌ عليها من عبد الوهاب ،
صورةٌ مع صوتِ الشيخ مصطفي إسماعيل ، صورتُهُ و القَدَرُ يحبُّهُ أمام " نادي المختلط " ، وأربع صورٍ لهم ، لمَّا كانوا يطيرونَ .. في " أستوديو كمال صاروفيم "
بالمَنْيَل .
بعد أن تهدأ الأصابعُ وتدفنُ الجميعَ في ظِلِّهِ ، ينظرُ في نفسهِ ويدندنُ لهم حتى ينعِس .

حَطَّني في الزحامِ وقال إنَّ عبد الناصر كان ابن بلدٍ ، وأنـهُ لـم يسترح لقسوةِ أسفلتِ هذهِ الأيامِ ..

حاولوا معي كثيراً

وكنت أُوَلِّي منـهم .

لن يحتملُني أيُ طَيْفٍ

سوى النائمينَ في الدولابِ ..

ثم إنـي أحبُّ أن أصطادَ

قوسَ قُزَحٍ من الأطباقِ ،

وأخافُ أن يخافوا ..

لم ينطقوها ..

إنـهم طيبون ومقام الحسين ،

لكنني أعلمُ .

أنا هكذا سعيد ....

أمضغ نِكاتَ الجيرانِ

بِتُؤَدَةٍ

وأقرأُ همهماتِ العابرينَ

وأشيلها في ألبومي الخاص ..

أُعَدِّي القسوةَ

وأضحكُ على الحُفَرِ

بالعدسَةِ المُكَبِّرَةِ ...

بعد أسبوعٍ

واعدتُ خطواتي القتيلةِ

كلها ،

لأنساها

تحتَ إبطِك ....

تلقائيةٌ لا تَليقُ بالفَزَعِ

1 – القِطُ في طريقِكِ

مائدةٌ لنبيٍّ جَوَّالٍ

....

٢ – الذَيْلُ الطويلُ ، ينفعُ بحراً لا مثيلَ لنقوشِهِ

وسَميكٌ ، يجيد ربط التواريـخِ والرعشاتِ

....

٣ – اللصُ ، جارَنَا

اعتادَ أن يرمي الدُمْيةَ المُدَمَّاةَ عند أقدامى

كي يبدأ بقِطٍ يسرقُ عَشاءَ نبيٍ ،

ورياحٍ تَحُطُّ على اللوحةِ

وأقدامٍ خَوَّافةٍ

و صافيةٍ

....

لا سبيل لعبوركَ ،

إلا أن تجرح المرآةَ

.... في

خائفيها .....

III

صباحُ القسوةِ يا رجلَ المطرِ



نقطتـان

1

يا حبيبي

يا صائد الدهشةِ

و راشقَـها أمامي .

لا تحطمْ الصندوقَ الرائـي ، لا تفزع

ولا تحاصر صوتَ شبحِكَ

الذي يندهُ منذُ البارحةِ .

هي روحي

التـي أخفيتُـها فيـهِ

لمَّا نِمْتَ

على

ساعةِ

البـهجـةِ ...

2

لا تصدقوا

غناءَ الراقصةِ

" أَعُضُّ

قلوبكم

لأني أعبدُ جسدي

وأُصلِّي

للأزَلِ " .

إنها فقط تَشِفُّ ..

وتختبئ من الصقيعِ ،

في

الروحِ

الأقدمِ ....

لا يتصادفُ دائماً

1

نُخرج ما بداخلنا من حنينٍ

لنفاجَأَ أنهُ كثيرٌ فعلاً .

على جانبِ الردهةِ

نُكوِّمُهُ دونَ تستيفٍ

لنتمشى جوارَهُ

ونغيبُ ....

كلَ قتلٍ ،

وكذا

بجوارِ شهقتِكِ ...

2

تصعدُ فوق البيانو الكبير

يقولُ عزمُهَا

أنجحُ في خنقِ النغمةِ .

كلُ الأشياءِ المرعوبةِ

تهلُّ بإزاءِها : الطنينُ بداخلِ الرعشةِ

ثم تقليبهم النظراتِ

بيني وبين الذكرى

بقَدْرِ الشماتةِ

المعهودِ ..

الجاحدةُ ..

تنسى كلَ موتٍ ،

أن قلبَها يَنقشُ

حليبَهُ

من خلفِ ظَهْرِ

الراعي .....

3

ثدياها متهدلانِ

وجِلْدُها يصطادُ الحروبَ ،

لينسى ..

لذا

لن تطلبَ فيهِ

إلا أن تخرجَ

برويَّةٍ ..،

من نظرتِهِ ...

من

كابوسِهِ

الأخير

....

يَدِّعي المهادَنَةَ

1

في كل مرةٍ

لا نسرقُ إلا المروجَ

والحيطانَ الخَوَّافَةَ

من عصا

الراعي ..

أو من

لُهَاثِهِ للربَّ ، في كلِ مرةٍ ...

2

الأصواتُ تسيلُ من أذنـي

أُشمر ذراعيَّ

وأَلُمُّهُم في صناديقَ

أستعيرها

من النائمينَ تحتَ الإبِطِ .

بعد الحَفْرِ

أشدُّ تَبَخُّرَها

قليلاً قليـلاً ..

بـلا

زحامٍ ،

ولا حتى مطر ...

3

أجمعُ العِظامَ

وأرسِمُ حفلاً .

شمعةُ ظِلِّي تَحوطُ الخوفَ

وتغفو عندَكِ ..

.. إنـها الأخيرةُ ..

في

الطائرِ

الأخرسِ ....

ليسَ مرعباً

سِبْني أفتحُ عَيْني ..
وأنا أضمنُ
أَلاَّ تنسكبَ
اليومَ ...

من

صخرتي

وخلاصي ...

الطقوس

1

تخنقينَ الدهشةَ باستمتاعٍ ،

يدي يا يدي ...

أَمُرُّ بروحِ نَفَّاذَةٍ . بين ساقَيْها

فأحرمُ نفسي من جزيرةٍ وعواصفَ

تملأُ مخداتي

لأعوامٍ قادمةٍ .

أنحرف عامداً ..

على الأقلِ ، لأبتعدَ عن الوَهَجِ

فأجدها تلهثُ

الطعنةَ المسكينةَ . في نفسِ النَفَق .

العام الماضي أيضاً كانت هنا

وبنفسِ الطقوسِ .

هما خيارانِ

أن أفوتَ في العَيْنِ

فأهوِي في دفءِ القسوةِ

أو أن أعودَ أدراجي مبكراً

قبل التَوَّرُطِ .

على الأقل

أنا الآن أُحَرِّكُ أقدامى بِهِمَّةٍ

لأسبِقَها ..،

<u>الذكرى</u> :

حِمْلانِ من الغبارِ

تبرعنا بهما للخريفِ

الفقيرِ ..

أربعُ أحضانٍ

تعفنوا ..

ومَلئوا الطريقَ

على شكلِ

سحابةٍ ......

لا أسمعُنِي وأنتِ بردانـةٌ

....

....

النملُ

فيكِ

وفِيَّ

....

....

2

التي تخافُ منذُ زمنٍ بعيدٍ
ضلَّلَتهُم عن قصدٍ .

إنـها تكرههم جميعاً :

- **مرآتُها التي تنهشها باستمتاعٍ**
- **روحُها التي تَفِرُّ من قُدَّامِ الرعشةِ**
- **الغامضُ الذي يُحَوِّمُ فوقَ البحيرةِ**

....
....

ابتـهَلَت للقَدَرِ

" افعل طيباً يا أخي الطيب
واجعلني من عواصفِ
العامِ الفائتِ ...
شِلْني في عُلْبَتُكَ الدافئةَ ... "

البريقُ ..،

لما زادَ البريقُ ..

أعطَيْنَا ظهورنا

وشِلنا في عُلْبَةٍ ..،

ضباباً

كأنهُ

عَظْمُنَا

....

3

النَوْمُ : منحوتٌ عليهِ

" سوف تشوفُ فيكَ الصحاري .. "

النَوْمُ : قريبُ ديسمبرَ ..

الضيق

الضيق

IV

كـأنني

. فصل .

الضبابُ الذي صَدَمني في الصباحِ الأولِ

هارباً في علبةٍ

تحاذي الأسلافَ وتتشهى ..

لم أمقتْهُ

ولا حفرتُ

في مسامِهِ المتناثرةِ ..

فقط حاولت أن أتفادى مَعاوِلَ

الحَفَّارينَ

الذين اخترقوا ذاكرةَ الطريقِ

و تمنيت أن تكوني على بُعْدِ ركلةٍ ، ليسَ أكثر

فأصافحَ الأشباحَ

الطيبينَ ،

بعيني

الدافئةِ ...

. فصل .

بانتظامٍ

وعلى مدى السنواتِ كِلِّها ..

يَبُصُ يميناً ويساراً

ويبولُ على قاعدةِ التمثالِ

شَبِيهُ

ظِلَّكِ ...

تماماً حيثُ ماتَ بطلقةٍ

مُحْكَمةٍ ،

ثم يُحْكِمُ شَالَهُ

ويفتحُ

قلبَهُ ....

. فصل .

ستغامرُ وتغوصُ

: الطينُ على غيرِ العادةِ

ليسَ راقصاً ..

ومن دونِ أيِ خالقٍ

يتشكلُ وِدْيَاناً

و روائحَ

والماءُ يدوسُ على ذاكرتِهِ

فيصنعَ الجزيرةَ التي تتمناها ..،

كمَلاحٍ

يحُطُّ

حيث طارَ الطائرُ ..

....

وذُبْتِ ..

. فصل .

وكان الأمر ينتهي غالباً بابتسامةٍ .

السماءُ خارجَ النَسيمِ السميكِ

لم تعد تلهو ..

والسورُ

يدخلُ بين الحينِ والحينِ

ليعطيكَ حِصَّتَكَ

بالكاملِ ...

كشَفْتَ أموراً كانت ماكرةً ..

مثل المقاصدِ الخفيةِ للرفاقِ

و اتجاهِ فخذِ فتاتِكَ في الأماسي ..

الخ الخ

فاترك

صوتـي ....

والأمرُ غالباً ،

سينتـهي

بكِ ...

. فصل .

دافئاً

مثلَ سحابةٍ

. كانَ يُطِلُّ

من فوقي .

وحيناً

بارداً

كَكفِّكِ ..

. فصل .

..... وقد ينطفئُ

النورُ الساخنُ

فأتمادى

في استحلابِكِ

مع الشَبَحِ ..

وعندما تهِلُّ المحبةُ ،

كجرذٍ صديقٍ ..،

أقبضُ على رقبتِهِ

وألـهو ،

في

فزعِكِ ...

. فصل .

في الحفرةِ بَرقٌ

يُغافِلُ الذبائحَ

والجبلَ

وجِلْدَ الراعي ..

ويقتنصُ

هِزَّتَكِ

....

. فصل .

لم يَحُطَّ في أذني رائحتَهُ
ولم أحاول أنا ...

وفي صمتٍ ورويةٍ وهدوء
يميلُ فجأةً ،
.... ويَسِيبُنَا نشبهنا ..

. فصل .

الشجرةُ

جمعت الشرايينَ

وخاطت الحريقَ في ذيلِهِ

كي لا يحزنَ ثانيةً أو يغوصَ ..

و كلما تقابلا

لاحظت كلامَ الساحراتِ

وأخذتهُ في شهقتِها ..

ليقولوا

: " ترَكَت ظِلَّها

ورحلت .. "

.....

وكلما يَنُطُّ الشتاءُ

يغمِض ردائَهُ تحتَهُ ..

ليقولوا

" كانَ خفيفاً زمنئذٍ

فسَابَ نظرةً

وحفرتَ َيْنِ ... "

....

" تحتَ رَجَّةِ الحنين : عندما تجوسُ الشِعريةُ في العالمِ .. و تحكي معِ الظِلالِ "

قراءة في ديوان " رَفَّةُ شَبحٍ في الظهيرةِ "

لمؤمن سمير ..

بقلم / د. محمد عزت

هناك مسافةٌ افتراضيةٌ بين مجردِ الطموح في جانب والإمكانية مـع الإخـلاص والاجتهـاد فـي الجانـب الآخـر ، حيـث إذا زادت هذه المسافة قَلَّ إنتاج المبدع كَمِّياً ، وكذا نوعياً بالأساس ، وهـو أمـرٌ يقتـرب مـن المنطـق ، وإن قلَّـت فإنـك تستطيع أن تضمه لباقتك الخاصة ، المنيرة ، من المبدعين ، الذين تحكم عن طريق تجاربهم على الواقع الأدبي سلباً وإيجاباً – لأنك لابد وأن تستبعد غير الجادين كل فترة – وتصل إلى نتائجك وأحكامـك وبـالأحرى تسـتمتع ، بـتلمس لَبِنـات مشـاريعهم المتميزة والقلقة بالضرورة . من هذا الصنف الثاني الشاعر مـؤمن سمير ، الـذي أصدر قبـل ديواننـا هذا تسعة دواويـن تلمـح فيهـا بوضوحٍ تـام حرصـه علـى الوصول إلـى مـا يميـزه ويخصـه بالـذات ، بـنفس دأبـه فـي الخـروج علـى أي منجـزٍ شخصيٍ يبلغه وأي مرتقى يرتقيه .

إنه لا يستقر طويلاً في أي أرض ويعتبر أن الوصول والغاية ، هو الموت في الحقيقة .. وإذا طمحتَ لأن تضع تجربته في جملة مفيدة ، واحدة جامعة مانعة ، وهو أمر مرهق في حد

ذاته فعلاً وغير علمي ولامنهجي لكنه منتشر عندنا للأسف ، كأن تردد في جلساتكَ الخاصة أنه من شعراء التسعينات المغرمين بالتفاصيل اليومية ونفي الأيدولوجيا والسرديات الكبرى الخ أو من المغرمين باللغة وألعابها وتشكيلاتها الخ أو أن نصه ينحو نحو التجريب والذهنية الخ أو أن الفكر والفلسفة يشدان النص للتثاقف والجفاف .. إلى آخر أكليشهاتنا المعلبة – فإنك قد تكون قد أرحت نفسك جمالياً ونصيا ً، لكن بالوهم .. لأنه يقترف نصاً قلقاً يصل به – سواء عبر الرؤية أو عن طريق بناء الجمل وصياغة المجازات الكلية والجزئية وتشكيل العالم الشعري الخ .. وكذلك (عبر) كل الصياغات والمقترحات الشعرية السابقة التي يمر بها ولاينتمي لأَيِّها ، في آن – إلى تأكيد منحى يشوفُ في الشعرِ طريقةً وحيدةً لا بديل عنها للعب مع العالم ، ليعود قابلاً للتعايش ، وللكشف عما يخفيه عنا منذُ القِدَم .. ويستخدم كل مافي طريقه الفكري والمعنوي والكتابي ، فوق ما ذكرناه من أنماطٍ فنية قبلاً – للكشف عن الشعر المخبوء ، بدايةً من اللعب مع المطلق ومساءلته والتمشية

معه وفيه – كذا – فلسفياً بل وشعبياً وفنياً بالطبع ، وليس انتهاءً باللاوعي وطبقاته والأحلام والهواجس وتاريخ الذات المستتر/ الحقيقي وتاريخ الآخر أياً كان .. كل شئ عنده قابل لأن يصير رحماً للاعب المغوي المسمى بالشعر ، بلا أي مواءامات ولا أي تأطيرات جاهزة ... اللهم إلا الضرورات الفنية ، المتغيرة مع كل وعيٍ يبلغهُ نصه ..

ثم إذا ولجنا إلى عالم ديواننا هذا فإننا نرصد بداءةً أن العنوان مُحَمَّلٌ بالإيحاءاتِ المُرَكَّبة ، كعادة الشاعر ، حيث تخبرنا هذه العتبة أن الحالة الشعرية القادمة في الديوان ستكون (تحت حالةِ) تألمِ وعذاب هذا الشبح / البطل / الشبيه ، أو حتى النقيض .. ساعةَ ينهشه النور بكَّلاباتِهِ الساخنةِ .. تَرِفُّ عيونُ الشبح من وطأة النور القاسي ويرتعش الكيان ، وفي (أثناء) الرعشةِ تلك – بالذات وعلى سبيل التعيين – تنفجر منه قصائد هي إلى الاعتراف أو الصراخ أو حتى حكمة الألم المفاجئة القابلة للنقضِ الدائمِ ، أقرب ..

إن حالة الحنين التي قد تمر بنا بين الحين والآخر لتحزننا أو تفرحنا أو لتهدهد مشاعرنا بالأحرى .. هذه الحالة عندما اقتنصت الشاعر زلزلت المتماسك من حوله وضغطت على (الجُوَّاني) ، البعيد المستقر ، فانفجرت الذكريات واقتنصت وعيه تماما ًفانفصل عن الماحول وأعاد رسم ماكان بعيداً وغائراً .. الشاعر هنا مستسلم لسطوتها وجبروتها ، إنه تحت هذه الرَجَّة ، مقعيٌ ، يرضى بدور (المَعْبَر) لخروج ما كان أسيراً ومخبوءاً – أو مستقراً ؟ – في الأغوار البعيدةِ .. ينزاح الحنين هنا في شبكة وعينا من موقعه الرومانسي القديم الحالم إلى موقع الافتراس والسطوة القاهرة ووضع البطل الدرامي بإزاء حالة الاستسلام الكامل والتلاشي ، عالقٌ في هذه الحياة الملتبسة مع عذابه الدائم الذي يغير كل ساعةٍ وجهاً : الذكرى ..

إن عالمه الآمن هو الجُحر أوغرفته البعيدة ، الوحيدة المتوحدة ، فإذا خرج مضطراً – تحت تأثير هذه الحالة الجبارة من الحنين للحياة ، الحياة بكليَّاتها وكل ما تعنيه من تفاصيل حية وساخنة ، وكذلك مجرد التصورات عن الحياة –

فإنــه يــرتعش ويقــاوم كــل مايعــاين باعتبــاره مــؤامرة ويلــوذ بذكرياتـه التـي هرب منهـا – والتـي عذبتـه ، قديماً ودائمـاً ً،
لكنه قد ألف مداخل ومخارج قسوتها واعتاد حتى علـى روائـح آلامه وطعومها ، لهذا يكون البطل في مأزق التأرجح بين مـا يعلمـه ويرعبـه وبـين مـا يجهلـه ويرعبـه أيضـاً وهنـا يكمـن الالتباس والخوف الذي يصل للقهر والقتل ، من الآخر ومن الـذات .... كأنــه شـبحٌ ينصـهر إذا عـاين النـور.. تصـدمه الشمس فيـرف بعيونـه مـن الـوهج ومـن الانكشـاف الفاضـح للضـعف ليبـدأ رثائـه لذاتـه ، تلـكَ التـي تـم اقتناصـها ، قديماً وحالياً ودائماً ....
وعندما نتجاوز هذه العتبـةِ الأَوَّلِيـةِ ونـدلف إلـى عالم وشوارع وبيـوت الـديوان نجـد أنــه يحـدد تـاريخ كتابـة النصـوص فـي ديسمبر ولكنه ليس ديسمبر المعتـاد ، المؤقت ، إنـه ديسمبر الممتد ، الكبير الجارح ، وهو ما يوحي بأن الحالـة المسيطرة عليـه فـي هذه السنوات ، جميعهـا ، كانـت أقرب إلـى تجليـات ديسمبر وامتداداته في الداخل والخارج ، من الوحدة والخوف

والشكِّ إلى البرودة القاسية ورعشةِ الأفكار والمشاعر ومذاق النهايات .

و لكي يُمَهِّد ويشير لنا على أن هذه التجربة تنتمي إلى جل تجاربه السابقة والتي يكون كل كتاب فيها وحدة واحدة وإن تنوعت المداخل والمخارج ، بالإضافة لكونها كذلك تمتح من فضاء واحد هو خياله الجامح الباحث عن الشعرية في أنهارِ أخرى – فإنه يُكمل بثالث العتبات ، بعد العنوان وتنويه سنوات الكتابة ، بالمقتبس الذي صَدَّرَ به النصوص ، فيكتمل الحوار الذي بدأ مع العنوان ، حيث أنه وإذ يُلَوِّحُ من بعيد بشكه وعدم يقينه فيما ينهال عليه من المحسوسات ، يربط بين انفجارة الحنين وانثيال الذكريات وبين ظنه دائماً بأن الأمر ينطوي على خدعة كبرى من خداعات اللاوعي الفسيح ، الغامض ، الذي لم يعهده أحدٌ واضحاً وطيباً من قبل ، إنه دائماً يخبئ ويخاتل ويرمي بإشارات .. فيكون النهار/ النور/ الكشف ، إذن .. ماهو إلا تورية وتمويه وخداع دائم وطول الوقت .. وقاسٍ وقاتل أيضاً ، كالمعتاد .

ينقسم الديوان إلى أربعة دوال أو علامات كبيرة تنضوي تحتها النصوص أو الإشارات أو الدوال الصغيرة مما يكوِّن في النهاية العالم الذي يمور داخلياً في الذات لكنه بهروبه أو خروجه مع هذه الذات ، يكون قد سحبنا بمكره لنندمج ونشارك في اللعبة التي قد نمارسها ولا نعي .

في العلامة الأولى " يحيكُ الظِلالَ وأرتديها " تحتفظ الذات لنفسها بمسافة مع الذكريات التي تدل عليها الفوتوغرافيا بتثبيتها الزمن عند لحظاتٍ بعينها ، لكنها تسمح بانطلاق التجليات .. إن البطل ما يزال خائفاً ومرعوباً – وسيظل – لذا يوهم نفسه ، كي يتنفس بحرية على الأقل ، أنه لم يسقط نهائياً في حفرة الذكريات ، إنه يمارس الخداع أيضاً ، ولو بخداع ذاته ، مع أنه ، بلعبته تلك ، يكون قد مارس وبدون وعي ، أول أسس اللعبة ، المفروضة والقَدرية . هذه المجموعة من القصائد القصيرة ، المصاغة بأقل قدر من الكلمات – وهو ما يتناسب مع حالة التحسس والارتعاش المرتبطة بالذكرى واكتشاف ماكان وكأنه الاكتشاف الأول ، بما يمهد بعد ذلك لقرار الخروج ، ليكون وكأنه الخروج الأول

من الرحم / الجحر/ الأمان ، إلـى العالم / الزحام / المجهول .. وكأنه يقدم للذات ما يملك أولاً ثم للعالم ولكن بشك كبير فـي تقبل هذا العالم / الآخـر وموافقته علـى التواصل الـذي يسمح بصنع حياة وذكريات جديدة .. تمتحُ القصائد من احتمالين : أن هذه المشاهد هي حديث الفوتوغرافيا – الحنين بمعنى أوسع – في طورها   أو موقعها الشعري أو أنها انعكاسات تلك اللحظات الزمنية البليغة على نفسية البطل .. أي أنها حديثه هو ، وتشكيلاته هو وخيالاته هو ، فيستلم من الفوتوغرافيا فكرة خلق زمن جديد ليبني صوراً قد تتناقض مع الزمن الأول .. بما يعني أن الفوتوغرافيا هنا قد لا تكون علامة على ما جرى ولكنها تَصَوُّرٌ لما كان من المفترض أن يجري .. واللعبة الشعرية تكمن في أن هذين الاحتمالين يتضامان معاً ولا يمكن فصلهما ، فحديث الصور هو حديث حيوات البطل ورؤيته ، التي ما هي إلا تفاعله مع الفوتوغرافيا وتحويلها إلى دراما ، أي أن البلاغة هي بلاغة المشهد ورسمه وبلاغة التعبير عنه واختراعه ونقضه طول الوقتِ بالجمل الملتبسة ، معاً . تسيطر الوحدة والفقد

والاغتراب على هذا الدال الكبير ، لتتفاعل معاً وتنصهر في أتون التفاصيل : " لا أريد شيئاً كثيراً / لا عدة أشباحٍ / ألحق بهم بلعتي النور / ولا أن يمنحني الرجل المتجهم مراياهُ لنصفِ عمرٍ " إنه ، برفضه الظاهري للتواصل ، إنما يضمر شكواه وألمه من فشله في تحقيق الاندماج ومن سوء التفاهم الدائم . هو يشك في نوايا الآخرين إزاءه : " بالرغم من أنني أحسه يبالغ حقاً / قُدَّام حوائطِهِ والمدفأةِ / لم أحرمه متعته الصغيرة : أن أحيكَ الظلالَ / كلما فات الخشبيون " الآخر ، القريب ، مريبٌ بالضرورة ، وعبارة عن ظلٍ أو علامةٍ على آخر خفي ، وكلما كان هذا الآخر بعيداً عن التصور القريب ، تكون الهوة أوسع ، مجرد كائن خشبي لا مشاعر عنده ولا نقاط تماس قابلة لصنع أي حياة مع ذلك القابع خلف ستارة النافذة ، يراقب ويتلصص على اللحظات الحقيقية : "
كانت رائعة جداً وعاقلة / عندما أخفت رسم السِكِّين تحت الوسادة " أو " كانت تتمناه بشدة / ذاكَ المنقوشَ عليهِ / بعدد سنين العمر " أو " هو قاتلٌ لا جدال في ذلك / لكنه سيندمُ ، كزورقِهِ وأوراقِهِ / لأنه لم يستمع إلىَّ " .. لكن هل

يمكن لنا أن نعتبر المتلصص أو المراقب الحذر الذي يبني بدائل درامية داخله عوضاً عن التواصل المفقود ، غير مشارك ؟ إلى أي مدى هو غير متورط ؟ لقد خلق من الجمادات والسكون حياةً مَوَّارة ، له دور فيها بالقطع ، دور يتراوح بين الفعل وصنع ردود أفعال ، وبين قبول أن يكون طيفاً يكشف ويفضح ويخرب العلاقات المستقرة ليستمتع هو برسم زوايا جديدة ، وجديرة ، للنظر : " الشيطان العظيم ، / لماذا تقف بعيداً / ولا تجرب ارتعاش اليدينِ / الجميل الجميل ؟ " .

في الدال الكبير الثاني المسمى " أجوسُ في صدقي المؤجل ، بابتهاجٍ حقيقيٍّ " يكمل هذا الدور ولكن بتورط أكبر وبسرد يحمل قدراً واضحاً من الحميمية والبوح والهتك وليس الكشف فقط : " في ليالٍ مثلَ هذهِ ، أنا أكشف الأمور / أرمي عليها من لُهاثي وعَظْمي ، فيتقشر الزمن وتعود مجلوةً / أنا العَرَّافُ الشريف ، لا أخفي شيئاً عن أحد " إن هذا المقطع يحمل بيان الشعرية وطريقة لعبها وأبوابها الماكرة في الولوج إلى كل ما هو مخفي ، فبتصدير البراءة نتمكن من التسلل

والدخول ثم يبتسم المراقب ، الدائم ، الذي لا يفلت شيئاً .. ذلك الذي يكمل فراغات القصص ويملأ الحكايات باقتراحاته التي لا تنفذ ، إنه الراوي العليم بكل الخلجات ، كما تصرح باسمه الشعرية ، كعنوان لأحد النصوص ، لكنه في لحظاتٍ يغادر موقعه فيكون راوياً مشاركاً : " عندما أكدت له أنها مغلوبةٌ من عندِ وحشِ الجزيرةِ / غافلتُنِي / وغمزتُ " فبما أنه يعلم فهو الذي يملك توقيت التورط وماهيته ، ليكمل القنص ، ولكن ليس في سكة الخيال وإنما واقعياً هذه المرة ، أو هكذا تومئ لنا الشعرية : " بعد أسبوعٍ / واعدتُ خطواتي القتيلةِ كلها / لأنساها " إن الزمن عندما يطول بالمتلصص فإنه يميل – حال خروجه – إلى الاستعراض ، إلى تحويل الانفجاريات المكتومة إلى لحظات درامية يحسها الجميع وقد يحملونها معهم وهم عائدون إلى بيوتهم . تظهر تقنيات السرد أكثر ما تظهر في هذا الجزء ، فيمكن أن تمسك بحادثة أو قصة لها امتداد خَطِّي – بداية أو وأحداث ونهاية .. الخ – وتتفاعل مع الانتقالات المفاجئة للأمام وللوراء والتي تتم عبر الزمن بأنواعه .. الخ – وتجد المشهدية والديالوج

والبصرية السينمائية والتبئير .. الخ وتتقابل مع راوٍ يغير موقعه كل مرحلة .. الخ وتظل تدور مع الفجوات في النص لتكملها وهكذا .. ومن نافلة القول التركيز على أني أقصد هنا (السرد الشعري) بمعنى أن هذا النص الشعري يمكن أن نطبق عليه آليات علم السرد ولكن من زاوية أنه شعر مكتملٌ بداءةً (ينبني من الصور والأخيلة والمجازات وإيقاع ظاهر أو خافت أو خفي .. الخ) ولكنه جاء في بنية سردية وأهاب سردي ، وليس بالقطع ، سرداً في مبنى ومعنى شعري ، ولا أزيد .. إن البوح ، الذي يصل إلى درجة الهذيان في بعض الأحيان – هو انفجارة الوعي وصرخته من الكبت الطويل وسنوات الخوف وطبقاته وامتداداتها في الروح .. هو صرخة الطائر المذبوح ، سواء قبل خروج الروح بمسافة تسمح بالاعتراف أو في مرحلة الحلقوم الأخيرة صاحبة القدر الأكبر من السواد ...

وفي ثالث العلامات الكبيرة " صباحُ القسوة يا رجل المطر " يرجع البطل إلى وحدته ولكن وقد حمل على معطفه الكثير من نقاط المطر أو التجربة والتشارك ولو كانَ ذهنياً ، لهذا

تميل أغلب نصوص هذا الجزء للتجريد واستكناه خبرة التأمل والحكمة المتولدة من مراقبة النار في المدفأة : " شمعةُ ظِلِّي تحوطُ الخوفَ / وتغفو عندكِ/ إنها الأخيرةُ / في الطائر الأخرس " ولكنَّ هذا يأتي بعد أن رسَمَ في نص " الطقوس " ما جرى له في رحلته المتخيلة والحقيقية في الآن ذاته ، وتراوحه بين العودة الآمنة لحضن الذات وبين تكرار الاشتباك غير مأمون العواقب مع العالم : " هما خيارانِ / أن أفوتَ في العينِ / فأهوِي في دفءِ القسوةِ / أو أن أعودَ أدراجي مبكراً / قبل التورطِ " .

ويبدو أن الذات الحائرة الخائفة ، صاحبة الأشباح ، الغريبة لأنها تعلم أكثر ، تحسم أمورها وتعود في كل مرة .. ترجع رغم الآلام ، للوحدة والشياطين المرعبة والصديقة ، ولها هي بالذات : " النوم : قريبُ ديسمبر/ الضيق الضيق " .

ويأتي الجزء الأخير في هذا النص – المتصل الحلقات ، المتشظي أيضاً – والتي أسمته الذات الشاعرة " كأنني " بكل ما يحمله هذا العنوان من قيم البوح والشك في نفس الوقت ، ليكون خاتمة المطاف ، فيروي عن نفسه ويفضح

ذاته ، لكن مع ملاحظة أنه قد يحكي بالأساس لذاته وليس لأي كيانٍ آخر ، فيبدأ من صباحه الأول ويمر بأسلافه والرفاق والبنات والمقهى وذلك من خلال ديسمبر، الفضاء والسماء السوداء : (وكلما يَنُطُّ الشتاءُ / يغمِض ردائَهُ تحتَهُ ليقولوا " كانَ خفيفاً زمنئذٍ / فسَابَ نظرةً / وحفرتَ َيْنِ ..")
إنه الاطمئنان الذي يسبق العواصف ويمهد لها ولو بخوفه ، و ينتظرها لاستعادة ما كان ، بعد تهيئة الجو النفسي ، الملتبس . إنه يعيد رسم الدائرة ليترك فرجةً لها كي تخرج وتتناسل وتتكرر مرة أخرى ولو في زمن آخر ومع أشباح آخرين وفي حيوات ثانية .. و لهذا تقسم الشعرية القصائد في هذا الجزء تحت مسمى " فصل " بما يوحي بالارتباط والتسلسل وأن النصوص تكمل بعضها ولا تنفصل وتخرج من معين واحد .. إن الجزء الأخير هو فضاء الأجزاء السابقة ، هو الأصل الذي جاءت تنويعاته وتجريدياته فيما سبق من نصوص ، وبطبيعة الدائرة ومطاطيتها تستطيع أن تغير مواقع البدء والختام دائماً . إنه البيت الذي خرجت أشباحه وظلاله لتشتبك مع العالم أو بالأحرى تقتنص منه ما يساعدها

على اللعب وإعادة الخلق . إن البطل هو الشبح / شبيه الإنسان / أصله وحقيقته .. الذي يقبع لتستعمره الذكرى ، تلك التي يأتي هو بأدواتها : الفوتوغرافيا ، المحسوسات ، الأماكن والروائح الخ .. صاغراً ، مرتعشاً .. ثم ينفتحَ الوعي ليمارس رسم ما كان بأكبر قدر من البوح والاجتراح وتغيير الملامح والصياغات ، إنه الصدق الذي كان مؤجلاً دائماً . ثم تأتي المغامرة المحفوفة بالمخاطر والهلاوس المرتقبة .. والتي هي الخروج – سواءً الواقعي أو على مستوى التخييل – والاندماج والتواصل الفعلي مع العالم .. لنصل في نهاية هذه الرحلة إلى عودتهِ ليقبع مرة أخرى مع ذاته أو في ذاته وحولها ، باعتبارها أقنوم الأمان ، الملتبس ولكن الممسوك ، معوضاً أي تواصل مع الآخر– أي آخر– بإيهامنا – والذات – بحنين وذكريات قد تكون حدثت أو لا تكون .. لتكتمل الدائرة طارحة الشك طول الوقت ، وهو الذي يسمح دائماً بإعادة النظر من أي نقطةٍ على سطح الدائرة ، وهو ما يُثبت ما ألمحنا إليه في البداية وهو كون كل ديوان في تجربة

الشاعر وحدة واحدة رغم تفريعاتها المختلفة ، وخروجاتها الدائبة على إطاراتها ....

وقبل أن ننهي تحاورنا مع الديوان نشير لخِصِّيصتَيْنِ فَنِّيَّتيْنِ بازغتَيْنِ عند المبدع وهما أولاً : الصياغة الخاصة ، المُركَّبة التي تفتح أبواباً شتى للتأويلات .. فعندما يقول النص جملةً من مثل " يحيكُ الظِلالَ وأرتديها " .. فإننا نكون بإزاء عدة احتمالات : أن يكون الفاعل الذي بلا مرجعية هنا ، للفعل الأول (حياكة الظلال) هو المطلق ، وفاعل الفعل الثاني (ارتدائها) هو بطل النص .. وفي هذه الحالة نكون بإزاء علاقةٍ طرفيْها غير متكافئيْنِ ، المطلق هو الفاعل الأصلي والشخص هو صاحب رد الفعل .. وكذلك والحالة بهذه الكيفية – يندمج الدالان " هو " ، و" الشبح " الماثل في لا وعي النص ، والذي يلعب النص مع تماثلاته مع البطل ، بدءاً من عنوانه الأول – ويصير الشبح مجرد تجلٍ للشخص ، أو العكس سواءً بسواء .. وتصير العلاقة الأساسية بين طرفين أولهما مطلق ، متعالٍ ، وغامض ، وبمنطق النص : جبار وقاسٍ .. بينما الكِفَّة الثانية ، التي تتكون من كائن

جديـد عبـارة عـن إنسـان وشـبح معـاً – هـي الأضـعف ، المنسحقة ، الخائفة والمرتعشة طول الوقت ...
والاحتمـال الثـاني أن العلاقـة قائمـة بـين طـرفين أحـدهما ، وفاعل الفعل الأول ، هـو الشـبح .. وفـي هـذه الحالـة يعلـو الشـبح ليحمـل كـل الصـفات العلويـة المطلقـة ، المرعبـة .. ويـرزح الطـرف الثـاني تحـت صـفات الضـآلة والانسـحاق .. بالرغم من أن هذا الشبح يمكن أن يكون نتاج كوابيس البطل الشخصـية وعذاباتـه ، يعنـي شـبحه الشخصـي أو شـبيهه أو قرينـه أو حتـى نقيضـه وضـده .. كمـا يمكـن أن يكون شبحاً (خام) يخص راحلين أو لايخص .. الخ
ولا ننسى دال (الظِلال) ، المكتنز هو الآخر بالاحتمالات ، هل يرتبط بالبطل أم بالشبح أم بهما معاً : كمساوٍ لهمـا أو نظير أو حتى نقيض ؟ أو أنـه بالأساس لاينبت ولايتخلق إلا فـي وعـي المطلـق ؟ .. وهكـذا نلعـب مـع إشـعاعات الفـن واحتمالاته المتتالية ولانتعب ..
وثاني الإلماعات ، والتي نقدمها مع سابقتها كإشارات غير وافية ، لتمايزات الكتابة : دمج العجائبي مع التفاصيل

وسبكمهما في سبيكة واحدة ، لتخليق نص لا نتوءات بين أجزاءه وخلاياه .. فتجمع الكتابة بين مالا يُظَنُّ أنه يصح فيه الجمع وتخلق منطقها من المصدرين معاً : الأسطورة والتفاصيل ، رغم إمكانية اقتناص الشعر من أيهما ، وهو السائد في هذا الجيل ... ولنتأمل هذه المقاطع :

" في كل مرة ٍ/ لا نسرقُ إلا المروجَ / والحيطانَ الخَوَّافَةَ / من عصا الراعي / في كل مرة ٍ.. " .

وكذا " في الحفرةِ بَرقٌ / يُغافِلُ الذبائحَ / والجبلَ / وجِلْدَ الراعي ../ ويقتنصُ هِزَّتَكِ " .

أو " الشجرةُ /جمعت الشرايينَ / وخاطت الحريقَ في ذيلِهِ / كي لا يحزنَ ثانيةً أو يغوصَ ../ وكلما تقابلا / لاحظت كلامَ الساحراتِ / وأخذتهُ في شهقتِها .." .

في المقطع الأول تصاغ الأسطورة بألفاظ وسرد يقترب من التداولية ويؤكدها بعبارة (في كل مرة) الدالة على الديمومة والتكرار .. وفي الثاني يُدخِل المخاطبَة في المشهد بكل انسيابيةٍ لتتنزل الأسطورة من سماءها بهدوءٍ ومكر .. أما المقطع الثالث فهو الأوضح على السبك

المحكم وعلى السرد الذي ينجدل من الأسطورة ويحكي لصديقٍ معاصر ، في الآن نفسه ..

مؤمن سمير ، هنا ، ينجح كعادته – رغم أن النصوص أقدم في زمن الكتابة من أعماله التي صدرت من قبل – في صنع قصائد تتخلق من وعي مديني منفتح ، بعيد عن أي رومانسية غابرة ، ويفلح في صنع مسرح واضح الأركان وحياة من لحم ودم ، وخيالٍ أيضاً .. تستطيع أن تناورها بإيجابية لأنها بمكرها الفني الجميل ، تسيب لك المداخل والمفاتيح ، عبر لغةٍ مُحمَّلةٍ وحسَّاسة لأقصى درجة ، تتوسل بالسرد كما تصنع مجازاتها الماكرة المدهشة ، تراوحُ بين الواقعي والأسطوري العجائبي بمهارةٍ ودَرَبَةٍ وتترك إشارات وجمل وحالات وحيوات
في البداية لا تكتمل إلا في النهاية ، وإحالات تحتاج متلقياً واعياً ومشاركاً في إنتاج النص ..

وكما ألمحتُ قبلاً ، إن تأكدَّتَ أن المبدع صاحب مشروع ، يعمل له وعليه ، فصاحِبْه وأنصت له ، أو معه ..

لَمَّا يدلكَ على دبيب ماتحت السطوح ،

أو يتساءل معك أو يومئ لك أوفيك ...

كي لا تُحرم من اللعب الخالق

والبَهجات .....

المؤلف :

- مواليد : 15/11/ 1975

- صَدرَ لهُ :

1- بورتريه أخير، لكونشرتو العتمة .
شعر ، دار سوبرمان 1998 .

2- هواءٌ جاف يجرحُ الملامح .
شعر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة 2000 .

3- غايةُ النشوةِ .
شعر، طبعة أولى : هيئة قصور الثقافة 2002 .
طبعة ثانية : مكتبة الأسرة 2003 .

4- بهجةُ الاحتضارِ .
شعر ، هيئة الكتاب 2003 .

5- السِريُّون القدماء .
شعر، هيئة الكتاب 2003 .

6- ممرُّ عميانِ الحروبِ .
شعر، هيئة قصور الثقافة 2005 .

7- تفكيكُ السعادةِ .
شعر ، دار هفن 2009 .

8- تأطيرُ الهذيانِ .
شعر ، دار التلاقي للكتاب 2009 .

9- بقعُ الخلاصِ .
مونودراما ، هيئة قصور الثقافة ،
بيت ثقافة الفشن 2010 .

10- إضاءةٌ خافتةٌ وموسيقى .
مجموعة مسرحية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2009.

11- يُطِلُّ على الحواسِ .
شعر. كتاب اليوم . دار أخبار اليوم ، 2010 .

12- الهاتف .
مسرحية للأطفال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2010.

13- أورادُ النوستالجيا .
مقالات نقدية ، إقليم القاهرة الكبرى الثقافي 2011 .

14- عَالِقٌ في الغَمْرِ ، كالغابةِ كالأسلاف .
شعر ، هيئة قصور الثقافة 2013 .
15- رَفةُ شبحٍ في الظهيرة ، شعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2013 .

- قَيْد الصدور :

1- حَيِّزٌ للإثمِ ، شعر .
2- بلا خبز ولا نبيذ ، شعر .
3- رمل ، نصوص .
4- علم النمل ، نصوص .
5- الصياد والسمك الناطق ، قصص مترجمة للأطفال
6- اقترح أنت حلاً آخر ، الأعمال المسرحية .

* للتواصل : هاتف محمول : 01003815130 – 01116321147

بريد إلكتروني :

momensamir76@yahoo.com